

البلد المثالي تنقسه الهستيريا الشرقية

## الروائي اسكندر نجار رحلة في قلب السويد

واضحة: «لماذا يفضل بلد صغير مكون من أربعة ملايين نسمة، بلد كان يُعتبر في ما مضى سويسرا الشرق، لماذا يفضل حيث نجتحت السويد» (ص ٣٩). إن قيمة الإنسان محترمة في السويد، والعدالة والقانون والدولة تحمي المواطن وتتيح له نمط حياة هادئاً مستقراً. ففي بلد لم يعرف الحرب منذ أكثر من قرنين، يمكن الإنسان أن يقول إنه سعيد، إنه يعيش في نعيم تام، وفي جنة طرد منها منذ القدم. يمكن الإنسان الذي يقيم في السويد أن يعيش مطمئن البال، قريص العين، فلن يسلبه احد حقوقه أو امواله أو احواله. المواطن الذي يعيش في السويد يعيش ترفاً اجتماعياً سياسياً عاطفياً لأن يعرفه في بلاد العرب. ولكن مهلاً...

### مثالية حتى الملل

يصف نجار مثالية المشهد، ورويق العدالة الاجتماعية والحرية الدينية والاكتفاء الذاتي، ولكنه لا يخفي على قارئه أن الواقع هو من المثالية الشديدة لدرجة أن الحياة تصبح ممّعة وكثيرة، فمن طريق إحدى الشخصيات التي يلتقيها نجار، يكتشف القارئ أن الإنسان ليس سعيداً في السويد: «هل أنت سعيد في السويد؟ - كلاً، تنهد الموسيقي قائلاً. - ومم أنت شك؟ - هرأ راسه واجابني بنبرة حزينة تكاد تكون بانساسة: لدينا كل شيء، فساداً نطلب بعد» (ص ٥٤).

إن الحياة في السويد هادئة مستقرة لدرجة الملل والموت، تنقصها «الهستيريا الشرقية»، تنقصها «فوضى الشرق الحضارية»، ينقصها الضجيج والارتجال واللامتوقع، الحياة في السويد جنة مكتملة، كل شيء فيها مدرسو وله قانون واضح صريح، كل ما ينقصها هو حرارة الثورة وتوهج العصبية وتوقد الانسانية... كل ما ينقصها هو شعلة الخيطية الأولى.

### الجمال وحده لا يكفي

يستعمل نجار صفة *ingouvernable* (أي بتفسير ما الوطن الذي لا يحكم) لوصف لبنان، وهو على حق تماماً. إن الشعب اللبناني صعب المراس وغير قابل للحكم، فكل مواطن دولته، ولكل رايه، ولكل قانونه، إنها الصفة الملائمة لنقل الواقع اللبناني المتخبط في نزاعاته السياسية والدينية والاجتماعية. وقد أجاد نجار في لغت الانتباه إلى الواقع بطريقة جديدة لم يسبق لكاتب أن كتبها، واستطاع نقل الحقيقة بجمالية الأدب الأنيق حين قتال: «لأن بلدي، بجمالها وتنعمه بدفء الشمس، لا يحسد السويد على شيء، ولكن الجمال وحده لا يكفي» (ص ١٠٠). نعم، الجمال وحده لا يكفي، والشمس وحدها لا تبني الأوطان، والدفء وحده لا يعلم القلوب السلام. إن لبنان بلد جميل طافح بالدفء والروحانية والارتجال الذي يشكّل جوهر الحياة، ولكن هذه الفوضى الجميلة بحاجة إلى شيء من النظام، إلى شيء من القوانين الباردة لتؤطرها وتضعها على الصراط الصحيح المفيد.

كتاب اسكندر نجار هادئ أنيق، يشبه السويد بجبالها البيضاء وتحفها الاستقرائية، ولكنه في مواضع كثيرة يهدي قارئه اللبناني ورده محفوفة بالاشواك تشعيره بوخز الضمير والحاجة إلى العمل من أجل خير جنّته الضائعة.

كاتيا الطويل



وتر الفساد والرشوة والجور، يكشف الغطاء عن العادات التي ألفها اللبنانيون من دون أن يدركوا فداحتها وظلمها مقارنة بنمط عيش هادئ مستقر ينعم فيه الإنسان بانسانيته وبحقوقه كاملة.

يتوقّف نجار مطوّلاً عند طابع الشعب وعلاقته بالدولة والإنسان الآخر. وهذا الوصف الجميل الذي ينقل واقعاً مثالياً حقاً، من دون الوقوع في فخاخ المبالغة، يشعر القارئ العربي عموماً واللبناني خصوصاً، بعمق حاجته إلى الامتثال بأهل السويد والأخذ عنهم شيئاً من الانضباط والنزاهة والاحترام الوطني. يتحدث الكاتب

عن أحوال العجزة والمرأة والطفل، ويصعق القارئ عندما يكتشف أنهم جميعهم يتمتعون بحقوق لا يجزى المواطن العربي على المطالبة بها، أو حتى الحلم بها. فالمجتمعات العربية قائمة على التابوات الدينية والاجتماعية، والذكورية الطاغية التي لا تنفك تحاول التحكم بشؤون المرأة الشخصية والعلمية. من دون أن ننسى أحوال العجزة المهملين المتروكين من الدولة، والذين يصب جام اعتمادهم على عائلتهم وقدراتها المادية. يشعر القارئ العربي بالفارق الهائل بين الفساد المستشري في مجتمعه وبين النزاهة السياسية الموجودة في السويد. يشعر بالسنوات الضوئية الكثيرة التي تفصل بين حالته الراهنة وحالة مواطني السويد المثالية. فيستاء نجار بحرقه



العالم السويدي فقط، لم يتوقّف عند التفاصيل الحياتية ليصور لنا كيف يعيش أهل السويد فقط وضع نجار كتابه ليتعمق في مفهوم المكان ولتقيم من ثم ما يشبه المقارنة بين الروائع التي عاينها في السويد والفوضى التي سيعود إليها على متن طائرته المتوجهة إلى بيروت. وضع نجار كتابه ليضع أصبعه على الجرح المؤلم الذي يعيشه اللبنانيون والذين تاقلموا معه لدرجة أنهم باتوا يستغربون وجود واقع أفضل منه، ونمط عيش أكثر رافة وعدالة.

تسأل الهجمات المثالية على الواقع اللبناني عند كل سطر. وينقر نجار على

يعود الروائي اسكندر نجار بكتاب جديد وضعه عقب رحلته إلى السويد. وعلى خلاف لامرتين وفلوبير ونيرفال الذين كتبوا عن بلدان الشرق، بلدان وجدوا فيها شيئاً أكثر تميّزاً وروحانياً بعيداً عن الحضارة الغربية، حاول نجار في «ملائكة مايلز غاردن»

Les Anges de Millesgården Editions Gallimard ٢٠١٣ أن ينقل إلى قارئه نمط الحياة في السويد، بلد غربي ذي عادات فريدة وأساليب عيش لافتة تطغى بالعزلة الجليدية. وبينما توجه الكتاب الغربيون جنوباً للتعرف إلى روحانية الشرق المتوهجة، توجه نجار شمالاً ليتعرف إلى أناقة الغرب الباردة.

لا يحاول نجار أن يخفي إعجابه بمعالم الحضارة والتقدم في السويد. فيصف أهلها وأنماط عيشهم ونظامهم اليومي وانصاعهم التام والكامل للقوانين. يصف صدقيتهم وتزمتهم عن أفة الفساد والارتشاء التي تحطم المجتمع وتهذ بنيته. يصف احترامهم لخصوصية الآخر ومساحته الحميمة وريغته في الصمت. يصف روح الانفعال لديهم وقدرتهم الهائلة على كبت مشاعرهم والمحافظة على هدوء بارد جاف يقارب الطقس صقيعاً وجليداً.

والى جانب وصفه لأطباق الناس، يخوض نجار غمار حديث جميل حول التحف الفنية والمتاحف العريقة، وأبرز أسماء الفنانين الذين نفع على أعمالهم في السويد سواء كانوا من الرسامين أو النحاتين. ففجع القارئ على نص ثري بالتفاصيل المتعلقة بفن الرسم والنحت ويكبار الأسماء في هذين العامين مثل شارديان Chardin، ودولارو Delacroix، ومونيه Monet، ومانيه Manet، وطبعاً كارل مايلز الذي يستأثر بحضة الأسد من الوصف، والذي يتوقّف نجار عند وصف ملائكته وتماثيلهم التي تؤمّ ساحات السويد وحدائقها.

ومع وصف نجار جمال الفن والإبداع البشري في المتاحف والساحات الزاهرة بالتماثيل واللوحات، لا ينسى أن يتوقّف عند الطبيعة واحترام أهل السويد لها. ففي خلال هذه الرحلة الاستكشافية، يتعرف القارئ إلى جغرافية الأماكن في السويد من الحدائق إلى الغابات فالأنهار. وكما أشرنا يتوقّف الكاتب عند احترام أهل السويد للقوانين وحقوق الطبيعة، ثم عند احترامهم واحدهم الآخر. فلقوانين في السويد قدسية لم تعرفها يوماً الشعوب العربية، وحتى الأشخاص المصابون بإعاقة يتمتعون بحقوق وواجبات كمسائر المواطنين على رغم إعاقتهم التي لا تتسكّل بأي طريقة من الطرق نقطة ضعف أو سبباً لدونية اجتماعية أو إنتاجية والقوانين موجودة لحماية، شأنهم في ذلك شأن أي مواطن آخر. وكذلك المرأة التي تعمل وتشارك في الحياة الاجتماعية، وتعيش حياتها بحرية على كل الصعد. وقد أتاحت لجميع المواطنين تسهيلات للتنقل والعيش بكرامة وسلامة من دون أن يحتاجوا يوماً إلى التفكير في الهجرة أو البحث عن مكان أفضل يعيشون فيه.

...وينسل الحزن عند المقارنة

لكن نجار ليس كاتباً عادياً ولم يعمد إلى وضع كتاب رحلة، ولا لينقل جماليات